تاريخ صناعة المحروقات بمدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية الفرنسية وفجر الاستقلال بالمغرب

The history of the hydrocarbon industry in the city of Sidi Kacem during the period of the French protectorate and the dawn of independence in Morocco

محسن بووشن(*)[1]،

[1]جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب،

juba-1@live.fr

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة **تاريخ القبول**:30/06/2022

ملخص:

شكل الاستعمار منعطفا تاريخيا بالنسبة لأنماط الإنتاج الاقتصادي بالمغرب نتيجة لسعي القوى الاستعمارية الأوربية إلى استغلال خيرات ومقدرات المغرب لصالح آلتها الاقتصادية الرأسمالية، وفي هذا الإطار، كانت بداية نشأة مدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية قد استندت بالأساس على الاستغلال الاستعماري للإمكانيات الفلاحية التي تزخر بها تلك المنطقة، لكن اكتشاف الثروة البترولية بعدة مواقع رسم مسارا آخر موازيا لتطور هذه المدينة التي اختيرت لتكون مركزا مخصصا للصناعة التكريرية، وتصبح قطبا طاقيا يزود مختلف مناطق المغرب بحاجياته من مشتقات البترول والغاز الطبيعي، وشهدت من خلال ذلك تطورات سواء فيما يتعلق بالبنيات التحتية بمختلف أنواعها أو مستويات الإنتاج التي عرفت العديد من التقلبات، مما رفع من مكانة مدينة سيدي قاسم داخل النسيج الاقتصادي المغربي خلال فترة الحماية الفرنسية وما تلاها من سنوات الاستقلال.

الكلمات الدالة: سيدي قاسم– البترول– تنقيب – مصفاة تكرير – توزيع.

Abstract:

Colonialism constituted a historical turning point for the patterns of economic production in Morocco as a resultof the European colonial

(*)محسن بووشن: juba-1@live.fr

powers' endeavor to exploit Morocco's resources and capabilities for the benefit of its capitalist economic machine. However, the discovery of petroleum wealth in several locations charted another path parallel to the development of this city, which was chosen to be a center dedicated to the refining industry, and to become an energy pole that supplies the various regions of Morocco with its needs of oil and natural gas derivatives, and through this it witnessed developments, both with regard to infrastructure of various types or levels Production, which experienced many fluctuations, which raised the status of the city of SidiKacem within the Moroccan economic fabric during the period of the French protectorate and the subsequent years of independence.

Keywords: SidiKacem - Petroleum - Exploration - Refinery – Distribution**.**

1.مقدمة:

يزخر المغرب بالعديد من الثروات الطبيعية التي جذبت إليه الأطماع الامبريالية منذ القرن التاسع عشر، فإلى جانب الإمكانيات الفلاحية الكبيرة التي تتوفر عليها البلاد، والتي شكلت محور الأنشطة الاقتصادية بالبلاد والمجال الأول المستهدف بالاستغلال منذ بداية الحماية الفرنسية، لا يمكن إغفال أهمية الثروات الباطنية التي تخبئها الأراضي المغربية؛ سواء المعدنية منها أو الطاقية، والتي استأثر استغلالها باهتمام كبير من سلطات الحماية وسعت من أجل ذلك إلى توفير الإمكانيات المالية والتكنولوجية الممكنة للحصول على حاجياتها منها. من هذا المنطلق، جذب اكتشاف البترول في المغرب الأنظار إلى الاستثمار في قطاع المحروقات، لما مثله ذلك من أهمية كبيرة لتطوير بنية الاقتصاد والمجتمع المغربيين، نظرا لتنامي مكانة البترول في القطاع الصناعي وقطاع النقل على حساب الفحم الحجري، باعتبار البترول مصدر الطاقة الجديد الذي سيهيمن على القرن العشرين، وقد تجسد ذلك الاستثمار في المشاريع الصناعية المتعددة المرتبطة بتكرير وتخزين البترول والمنشآت المرتبطة بها، ونجد البعض من أهمها في مدينة سيدي قاسم (Petitjean). يهدف هذا المقال إلى تتبع تطور مجال صناعة المحروقات بمدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية الفرنسية على المغرب والسنوات التي تلت

الحصول على الاستقلال، وذلك من خلال استعراض أهم الاكتشافات التي تمت خلال عمليات التنقيب في منطقة الغرب ومقدمة جبال الريف، ومختلف المنشآت المشيدة لتطوير أساليب الاستغلال في مدينة سيدي قاسم، إضافة إلى مستويات الإنتاج التي حققها القطاع خلال الفترة المدروسة.

2. نشأة مدينة سيدي قاسم (Petitjean):

لقد تعرض المغرب خلال مطلع القرن العشرين للاحتلال الفرنسي مع فرض معاهدة الحماية سنة 1912م، في استمرار لمسلسل التوسع الامبريالي الأوربي في مختلف بقاع العالم عامة، والتوسع الفرنسي في شمال إفريقيا خاصة، والذي كانت الدوافع الاقتصادية محركه الأساسي، ممثلة بحث الدول الرأسمالية المتنافسة عن مصادر المواد الأولية التي تحتاجها صناعاتها المختلفة، وعن أسواق لتصريف منتجاتها واستثمار رؤوس الأموال المتراكمة لديها.

توالت الضغوطات الفرنسية على المغرب، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا منذ القرن التاسع عشر، بهدف الاستيلاء على مقدرات البلاد وإحكام السيطرة على موارده الطبيعية والبشرية، وفي هذا الإطار انطلقت عمليات الاحتلال العسكري الفرنسي بشكل فعلي للمغرب سنة 1911م، حيث تذرعت فرنسا بالقضاء على التمردات التي قامت بها مجموعة من القبائل ضد السلطان عبد الحفيظ، ووجهت حملة عسكرية نحو العاصمة المغربية فاس، وقد اختار الفرنسيون مسار هذه الحملة بعناية، إذ قرروا المرور عبر سهل الغرب للوصول إلى العاصمة، وذلك نظرا لعدة أسباب أهمها:

–كونها أقرب منطقة تربط الساحل بالعاصمة فاس على مسافة 165 كيلومترا فقط.

–توفرها على ميناء هام (المهدية) وموقع عسكري (القصبة) يرتفع على البحر ب 60 مترا يمكن استغلاله كقاعدة عسكرية لتجميع الجنود والعتاد العسكري.

–توفرها على وادي سبو الصالح للملاحة يصل المحيط الأطلسي بفاس، إذ لا يبعد عنها سوى بستة كيلومترات شرقا، يمكن استغلاله لنقل الجنود والعتاد العسكري إلى العاصمة.

–كونها منطقة سهلية منبسطة تساعد على مواجهة مكشوفة لمقاومين محتملين للقوات الغازية وتضعف قرتهم على المناورة مما يسهل عملية القضاء عليهم نظرا لتباين القدرات العسكرية بين الطرفين.

كان المعسكر الذي أنشأه الفرنسيون قرب زاوية الولي الصالح سيدي قاسم بوعسرية نواة لما سيصبح فيما بعد مدينة سيدي قاسم، والتي عرفت خلال الفترة الاستعمارية ببوتي جونPetitjeanاسم أطلقه الكولونيل غورودGouraudوفاء لروح القبطان Capitaine des tirailleursalgeriensPetitjean، الذي كان أول من بنى خيمة في المكان، والذي يبعد عن الزاوية بكيلومترين اثنين، لكنه سقط قتيلا في 19 ماي 1911م قرب القنيطرة، في مواجهة مع بني حسن، ودفن في قصبة مهدية.

صدر ظهير في 29 مارس 1916م بتحويل المعسكر إلى مكان قابل للبناء، ليصبح أول مكان يستقر فيه المستعمر في منطقة الغرب تحت الحماية الفرنسية، وفي سنة 1918م تم بناء أول تجزئة سكنية في سيدي قاسم أطلق عليها بوتي جون تكريما للقبطان المقتول، لكن بعد حصول المغرب على الاستقلال عام 1956م أعطت الحكومة المغربية أمرها بتغيير بعض أسماء المدن من الفرنسية إلى العربية، ومن ثم أصبحت تعرف بمدينة سيدي قاسم نسبة للولي الصالح سيدي قاسم بوعسرية.

بعدما استقرت الأوضاع للحماية الفرنسية بمنطقة الغرب، بدأت بتنفيذ مخططاتها الاستغلالية في هذه المنطقة الفلاحية الخصبة، فكان أول إجراءاتها هو الاستحواذ على أجود الأراضي الفلاحية، وتفويتها إلى معمريها على شكل ضيعات فلاحية كبرى، أغلبها بمحاذاة نهري سبو وورغة. هذا الاجراء الاستعماري أدى إلى تكديح الفلاحين الذين انتقلوا من فلاحين إلى مزارعين بدون أرض، مع هجرة عدد كبير منهم في اتجاه المدن أو أصبحوا كمأجورين أو مياومين في ضيعاتالمعمرين.

كان الاستغلال الفلاحي لمنطقة سيدي قاسم مسألة بديهية، نظرا لطبيعتها الجغرافية بتضاريسها السهلية ومناخها المعتدل، بالإضافة لمؤهلاتها المائية التي يوفرها حوض سبو، لكن الأمور أخذت كذلك منحى جديدا بعد ظهور اكتشاف غير مسبوق لثروة بترولية في المنطقة، رسم مسارا تنمويا جديدا لمدينة سيدي قاسم، ورسم ملامح تطور القطاع الصناعي بشكل مواز للقطاع الفلاحي.

3.تاريخالبحوثالنفطية

منذ ما قبل عام 1914م، تم اكتشاف تسرب النفط على حافة الريف وشرق سهل الغرب، مما أدى إلى اهتمام العديد من الشركات الخاصة بأبحاث النفط في المغرب من خلال القيام بالعديد من المسوحات في المنطقة، وقد أجريت هذه المسوحات بطريقة مجزأة[1].

تلخصت النتائج في بعض التأكيدات الإيجابية، فقد وجد في جبل سلفات اثنين من الحقول المتراكبة وغير المنتظمة، كشف أحدهاللرأي العام من خلال ثوران مفاجئ متبوع باندلاع النار، وتم التعرف على حقل صغير آخر في جبل بودراع، فوق بيتيجان، وآخرعلى حافة جبل أوطيطا، ليصبح المغرب بذلك أول منتج للبترول في القارة الإفريقية.

طرح استغلال هذه الحقول مشكلة مبدئية، فالاحتياطي المصرح به اعتبر ضعيفا، والعائد المتوقع تحصيله من الاستغلال لايبرر سوى إنشاء مصنع تكرير صغير جدًا بحيث لا يكون مكلفا، لكن بقي الأمل في إيجاد حقول أكبر من ذلك تبرر تجهيزات أقوى بكثير، وقد تم التفكير في تلك الفترة فيتصدير النفط الخام مؤقتا إلى مصافيبحيرة دي بير[2].

كانت هناك أيضا افتراضات بوجود البترول في منطقة الريف الجنوبي (سوق الأربعاء الغرب وتازة)، وعلى العموم فقد تم في عام 1929م استخراج 400 هكتوليتر من النفط الخام[3].

وتجدر الإشارة هنا بأن المغرب هو البلد الشمال الإفريقي حيث ولّدت أولى عمليات البحث عن النفط الأمل في اكتشاف احتياطيات مهمة هناك؛ هذا الأمل، الذي عززه لفترة من الزمن نجاح التنقيب الذي تم في بعض النقاط في منطقة سهول المحيط الأطلسي[4].

أدى اكتشاف الثروة البترولية بالمغرب إلى جذب أنظار المستثمرين الفرنسيين بشكل كبير، وهو ما برز من خلال تشكيل مجموعة من الرأسماليين الفرنسيين، في 26 يونيو 1918م، "شركة البحث والحفر" للتنقيب في مناطق معينة من المغرب وتونس، بلغ رأسمالها في البداية 150.000 فرنك فرنسي، ليصل حجمها إلى 7.500.000 فرنك سنة 1920م، كما شكلت شركة تابعة لها، برأسمال قدره 3 ملايين فرنك، أطلق عليها اسم **الشركة الشريفة للأبحاث والحفر**، والتي كانت تجري، بدعم من السلطات العسكرية، مسوحات من أجل الحصول على تصاريح تشغيل وامتيازات تغطي حوالي 90.000 هكتار في المغرب، وقد توصلت الأبحاث في جنوب الريف، في جبل سلفات خصوصا، إلى نتائج سريعة، ليبدأ الحفر هناك في 14 سبتمبر 1919، حيث وجد طبقة من النفط في عمق 90 متر في 7 نوفمبر.

مكّنت اختبارات الضخ من تقدير معدل التدفق البالغ 2500 لتر يوميًا من هذه الفرشة الأولى، ولم يكن ذلك سوى عملية بدء، لكنها كانت من الأكثر تشجيعا على مواصلة الدراسات الاستقصائية بمزيد من العمق[5].

لم تكن عمليات التنقيب تتم بسهولة، وهو ما يتضح من خلال الأرقام المنجزة خلال تلك الفترة الأولى، فمن 1919م إلى 1928م، تم حفر أقل من 5000 متر، بحيث أن ثلاثة آبار فقط هي التي وصلت أو تجاوزت عمق 300 متر. لقد تعب المنقبون بعد منافسة صعبة فيما بينهم، ففي الواقع، كان تشريع التعدين المغربي ينص على منح تصاريح استكشاف (تقتصر على أربعة كيلومترات لكل جانب) اعتمادا على أولوية الطلب البسيطة فقط، بحيث أثارت أدنى علامات النفط "سباقًا للحصول على تصاريح"، في مجال البحث الأكثر اكتظاظا[6].

عرف المغرب منذ دخول الحماية الفرنسية العديد من التحولات على مختلف الأصعدة، وشهد الجانب الاقتصادي تطورا واضحا بدخول الأنشطة الصناعية الحديثة إلى البلاد، وكذل الانتشار المتصاعد لوسائل النقل الحديثة، من سيارات وقطارات وغيرها، وكانت أعداد تلك المصانع ووسائل النقل، والتي تحتاج إلى المحروقات لكي تقوم بعملها، في تزايد مستمر، تتزايد معه حاجتها إلى تلك المحروقات، مما جعل اهتمام الدولة ينصب بشكل جدي على توفيرها بشكل يكفي حاجيات البلاد، وبذلك أصبح من الواضح أن البترول المكتشف يمثل قطاعا مهما بالنسبة للدولة، لذلك وقفت هيئة رسمية في أبريل 1929م، وهي B.R.M. "مكتب البحوث والتعدين القابضة"، وراء اندماج العديد من شركات الحفر، وقامت بالاتفاق مع المكتب الوطني للوقود السائل، ومع شركة النفط الفرنسية ومع مجموعة خاصة "Financo"، و-SociétéFinancière Franco Belge de colonisation، بإنشاء "الشركة الشريفة للبترول" SCP، والتي قدمت لها الدولة الفرنسية دعماً كبيرا.

تم بذلك إنشاء أقوى منظمة للتنقيب عن المواد الهيدروكربونية في البلدان الواقعة تحت حكم فرنسا، وقد سجلت اكتشافًا مهمًا في عام 1934: حقل بترول جبل سلفات في منطقة بيتيجان (سيدي قاسم الآن). استمرت الدراسات الاستقصائية والدراسات الجيولوجية بشكل متواصل، حيث تم

استخراج النفط من حقل عين حمرا ببودراع، والذي استنزف في فترة لاحقة، لكنه شكل دعما ثمينًا للمغرب خلال الحرب العالمية الثانية[7].

انطلاقا من هذه التطورات التي عرفها قطاع التنقيب عن البترول بالمنطقة، وبعدما كانت سيدي قاسم منطقة فلاحية بالدرجة الأولى، جاء دور البترول ليعطي للمدينة نفسا جديدا منذ 1930، بحيث أصبح البترول المحرك الرئيسي لنمو سيدي قاسم، بل ورمزا جديدا لهذه المدينة التي تم اختيارها لتكون مركزا لمصفاة وتكرير البترول لتزويد المغرب بالمحروقات. وهكذا تم سنة 1934 إحداث أول مصفاة تقليدية بالمدينة لبدء استغلال تلك الثروة الباطنية الثمينة[8].

استمر التنقيب بشكل متواصل، ففي بداية عام 1937، بلغت النفقات المخصصة لذلك 80 مليون فرنك، وتم تنفيذ حفر 160 بئرا، تمثل أكثر من 45000م، معظمها آبار صغيرةالأعماق، من مائة متر أو أقل، تهدف بالخصوص إلى الإجابة عن أسئلةتكتونية، ولكن تسعة عشر بئرًا منها يتراوح عمقها بين 500 و1000 متر، وتسع آبار وصلت إلى عمق 2000م، وثلاث أخرى منها وصلت إلى أكثر من 2000 م[9]، كما تم إحداث مصفاة تقليدية أخرى في سيدي قاسم سنة 1939م لتعزيز القدرة الإنتاجية[10].

لكن الآمال الكبيرة التي وضعت بشأن استخراج البترول في المغرب قد تضاءلت، بينما كان التنقيب في الجزائر يتطور منذ عام 1947م، فقد اكتشف بالفعل البترول والغاز في حوض الشليف، وكان يتم جمع حوالي عشرين ألف طن سنويًا في سيدي عيسى، بالقرب من أومالي (اكتشف عام 1949م)، وفي عام 1951، بلغ إجمالي الإنتاج الجزائري والمغربي 83000 طن[11].

تضاعفت عمليات التنقيب منذ عام 1947م، وامتدت على قطاع واسع يشكل قوسا بين سيدي قاسم ومكناس، كما تم تعويض المصفاتين التقليديتين في سيدي قاسم سنة 1949 بوحدة عصرية[12]، ولكن الانتاج ظل منخفضا حتى عام 1950، حيث بلغ بالكاد 40000 طن سنويًا.

لكن الأمر عرف بعض التطور، فمن عام 1951م، كانت لدى الشركة الشريفة للبترول ألف تصريح بحثي يغطي منطقتي الغرب ومقدمة الريف، مقابل 497 تصريحًا في عام 1946م، كما استفادت من خدمة جيولوجية جيدة التنظيم، ومعدات مسح حديثة، وموظفين مؤهلين تأهيلا عاليا. نتيجة لذلك، فإن الاكتشافات المتتالية لجيوب النفط على حواف وادي بهت، في اتجاه

مصب القنيطرة، من حقول سيدي فيلي، بلاد الدوم، بلاد خطارة وزرارة، ثم حقل الحريشة، زادت الإنتاج تباعا من 75667 طن في عام 1951 إلى 118000 طن في عام 1954، وقد غطت الشركة الشريفة للبترول S.C.P. في عام 1954م كلا من الغرب ومقدمة جبال الريف تقريبا مع تصاريحها، وعمليات حفر بمعدل 100000 متر من الحفر سنويا.

كان لذلك المجهود التنقيبي نتائج مباشرة على كميات البترول المستخرجة، والتي شهدت نموا مطردا لعدة سنوات متتالية، فزاد إنتاج البترول الخام بسرعة من 1948م إلى 1954م، منتقلا من 13000 طن في 1948م، ثم 17500 طن في 1949م، إلى39000 طن في 1950م، إلى 75000 طن في 1951م، إلى 101000 طن في 1952م، إلى 102000 طن في 1953م، ليبلغ 118000 طن في عام 1954م[13].

كان إنتاج البترول الخام في ذلك التاريخ يمثل 15٪ من احتياجات المغرب، حيث تم تقديره بـ 700000 طن سنويًا؛ مثل إجمالي الاحتياطيات من الحقول الجديدة آنذاك حوالي مليوني طن من النفط، في حين تم استغلال حقول غاز الميثان الصغيرة، التي تم اكتشافها منذ عام 1952، في منطقة القنيطرة وسيدي قاسم. وعلى العموم، ظلت التوقعات والاحتياطيات المستقبلية متواضعة؛ علاوة على ذلك، كانت الرواسب تقع في مناطق تكتونية معقدة، في قطاعات مجزأة وصعبة الاستغلال.

سرعان ما أدى انخفاض إنتاج حقول بترول الغرب إلى انخفاض إنتاج البترول المغربي إلى أقل من 100 ألف طن: 92335 طن في عام 1960م، و80000 طن فقط في عام 1961م، بانخفاض 13٪ عن إنتاج 1954م. على العكس من ذلك، فإن هذا الانخفاض في الإنتاج كان مصحوبًا بنشاط استكشافي كبير قامت به الشركة الشريفة للبترول في الغرب ومقدمة الريف، على الجهة الشمالية من ظهر النسور، وقطاع حريشة ومنطقة القنيطرة للتعرف على محيط الحوض الطباشيري لسبو السفلي[14].

4 .التكرير والتوزيع:

لا يمكن الحديث عن إنتاج البترول بسيدي قاسم دون الاهتمام بالجانب التجهيزي المرتبط بهذا القطاع، فقد أدى تطوير الإنتاج إلى قيام الشركة الشريفة للبترول .S.C.P بتركيب وحدة

تقطير حديثة في سيدي قاسم في عام 1949م، بطاقة إنتاج سنوية تبلغ40000طن، كان من المفترض زيادتها إلى 250000 طن سنويا.

مكّنت التعديلات المتعاقبة على تلك الوحدة من تجاوز الاحتمالات الأولية وتطوير الإنتاج الذي أدى في عام 1952م إلى إنشاء منشآت جديدة،وتم الانتهاء من هذه الأخيرة في عام 1954م؛ كانت تلك المنشآت عبارة عن وحدة تكرير تستند إلى عملية حديثة للغاية، وهي "تكسير الحفاز" T.C.C. (تكسير الحفاز بالحرارة)، وكان يستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية في معالجة الهيدروكربونات. في الوقت نفسه، أنشأت الشركة مركز تعبئة غاز البوتان في سيدي قاسم، والذي بدأ يعمل منذ عام 1954م.

وصل إنتاج مصفاة سيدي قاسم إلى 101000 طن في عام 1952م و102000 طن في عام 1953م، وقد تم الحصول على هذه الزيادة، نظرًا لإغلاق موقع عين حارة، عن طريق تطوير رواسب بلاد الدوم وسيدي فيلي، وكذلك باكتشاف المجال الإنتاجي الجديد لبلاد الخطارة.

أما إنتاج الغاز الطبيعي، الذي بلغ 373042 متر مكعب عام 1952، فقد ارتفع إلى 4744532 متر مكعب عام 1953، وذلك بفضل تشغيل مسبار إضافي. تنفذ وحدة التكسير الحفاز، وهي الأولى في التشغيل في شمال إفريقيا، أحدث التطورات في تقنية التكرير بتوجيه من المتخصصين المدربين بشكل خاص من خلال التدريب في فرنسا والولايات المتحدة[15].

لم يكن النفط المعالج في سيدي قاسم مغربي المصدر في كلّيته، فقد كانت مصفاة سيدي قاسم تقوم بمعالجة البترول الخام الذي ينتج عن حقلي الغرب وسيدي غالم، ناهيك عما يتم استيراده من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وما يأتي من الكونغو والجزائر (حقل ادجيلة على الخصوص)، عبر ميناء الدار البيضاء حيث يتم تخزينه[16].

استمر الاهتمام بالثروة البترولية في المغرب بعد حصول البلاد على الاستقلال سنة 1956م، فتم العمل على تطوير الانتاج في مصفاة سيدي قاسم لسد الحاجيات المتزايدة للبلاد من تلك المنتجات الحيوية، فقد عالجت الشركة الشريفة للبترول في عام 1963م ما مجموعه 233975 طن من البترول الخام (مقارنة بـ 230454 طن في عام 1962)، 144379 طن من ذلك البترول من مصادر محلية؛ بينما 18180 طنًا من النفط السوفيتي،و71416 طنا من

زيت إدجيله بالجزائر. كما قام مركز البوتان باستخلاص وتصدير 11171 طنًا من البوتان إلى جميع أنحاء المملكة (أي 863974 قنينة) بدلاً من 9560 طنًا في عام 1962م (أي 740797 قنينة).

كان مجموع المنتجات المصنعة كما يلي في عام 1963: 13309207 طن من البوتان؛ 15383850 طن من البنزين الممتاز؛ 56778200 طن من البنزين السياحي؛ 22146900 طن من الكيروسين؛ 58317610 طن من زيت الديزل؛ 11009800 طن من زيت الوقود رقم 1؛37431700 طن من زيت الوقود رقم 2؛ 1233000 طن من الإسفلت. وقد زاد إنتاج الوقود الممتاز زيادة كبيرة منذ استلام النفط من ادجيله[17].

حظي تطوير المنشآت الإنتاجية بأهمية كبيرة خلال العي المتواصل للرفع من القدرات الإنتاجية لمصفاةالشركة الشريفة للبترولبسيدي قاسم ، لذلك تم خلال عام 1962م تحسين تجهيزات تلك المصفاة من خلال بناء خط كهرباء جديد بقدرة 22000 فولت بين الشبكة العامة (شبكة الكهرباء في المغرب) ومحطة طاقة المصفاة،بحيث تم استبدال الخط القديم الذي كان قد أصبح غير كاف،وتم تعديل نظام إمداد الطاقة الكهربائية بالكامل في سبتمبر 1962م، وقد قامت المصفاة بتزويد أفران محطة توليد الطاقة الخاصة بها بالغاز الطبيعي، المستخرج بالكامل من حقلهريشة[18].

كان المغرب منذ فجر الاستقلال مدعوا لتطوير اقتصاده، وقد شكل قطاع الطاقة أحد المحاور الأساسية لذلك، مما أعطى للإنتاج الذي توفره سيدي قاسم من تلك المواد أهمية كبيرة بالنسبة لباقي القطاعات الاقتصادية في مختلف مناطق البلاد، فكانت الشركة الشريفة للبترولتقوم بتزويد شمال وشرق المغرب بالمنتجات البترولية بواسطة العربات أو شاحنات صهريجية، وكانت توفر بشكل عام: 59٪ من احتياجات المغرب من البوتان، و35٪ من احتياجاته من البنزين السياحي، و18 ٪ من البنزين الممتاز[19]، وهو ما جعلها تحظى باهتمام متواصل من طرف الدولة، لما يشكله إنتاجها من أهمية كبيرة لسدالحاجيات المتزايدة لاقتصاد البلاد الصاعد.

4.خطوط الأنابيب

إن استغلال الآبار النفطية وكذلك تزويد المصفاة الموجودة بسيدي قاسم بالمادة الأولية كان يستلزم إنشاء تجهيزات لوجيستيكية خاصة، وتتمثل على الخصوص في خطوط الأنابيب التي تسمح بنقل البترول الخام من الآبار أو الموانئ نحو مدينة سيدي قاسم؛ ففيمواجهةإنتاج الحقولغيرالكافيةوالمستنزفة،واصلتالشركة الشريفة للبترول

تزويدالمصفاةعنطريقنقلالبترولالخامالمستوردعبرخطأنابيبقائمبالفعل،وتمبناءهذاالخطمنقبلالأمريكيينفيالخمسينات،و كانيهدفإلىتزويدالقاعدةالعسكرية التي تم إنشاؤها بمدينة سيديسليمان بحاجياتها من الوقود.حصلتعلىالشركة الشريفة للبترولفي عام 1965م على خط أنابيببحجم ثمانبوصات،والذي ربطميناءالدارالبيضاءبمدينة سيديسليمانوتم مدهبعد ذلك حتىسيديقاسم.كانخطالأنابيبهذا،الذي يمرفيالبدايةفيالمناطقالريفية،يمر بمناطقحضرية،ولاسيماحيرياضوأكدالبالرباط،ويعبرمدينتي سلاوالقنيطرة،مماكان يمثلمخاطركبيرةعلىالسكان في حالة وقوع أي حادث[20]. وقد وصلهذاالأنبوب البالغطوله 185 كيلومترإلى مرحلة التشبع فيعام 1980م،ممادفعالشركة الشريفة للبترول لاستخدامالعرباتلاستكمالنقلالنفط الخامبينسيديقاسموالمحمدية.

تمتشغيلأنبوبجديدبحجم 14 بوصةيربطهاتينالمدينتينفيعام 1997م،وهوقادرعلىنقلمايصلإلى 3 ملايينطنسنويًا. كانمشروعالتحديثالعامالذيتمإطلاقهلخطالأنابيبالجديدآمنًاونائيًاوبسعة كبيرة،وسمحبنقلآمنوغيرمكلفوقادرًاعلىتزويد منطقةالغربوالمناطقالشمالية بالمنتج.

شكل قطاع إنتاج البترول والغاز رافعة اقتصادية واجتماعية لمدينة سيدي قاسم، فنتيجة لإحداث تلك المحطات الإنتاجية المختلفة عرفت سيدي قاسم نموا ديمغرافيا سريعا وتطورا واضحا في الخدمات المختلفة، كما استقطبت المدينة موجة مهمة من الهجرة، وقد كانت الشركة الشريفة للبترول بسيدي قاسم توفر سنة 1979م مناصب شغل تقدر ب747 منصب، أي 61،4 في المئة من الشغل الصناعي بالمدينة[21].

لقد كانت الشركة الشريفة للبترول تلجأ إلى المساعدة التقنية من شركة بي آر بي إم، وإلى المتخصصين في "فرونتيجنان" و"لاك" لتدريب موظفيها. وفي عام 1964، قامت بزيادة عدد منشآتها، وتم إنشاء مركز لتعبئة غاز البوتان في طنجة، وتم بعدها إنشاء أخرى في آسفي وأكادير[22].

5. خاتمة:

لقد اكتسبت صناعة المحروقات أهمية كبيرة بالنسبة لاقتصاد مدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية الفرنسية، وساهمت في تحقيق المدينة لتطور في المجال الطاقي بشكل غير مسبوق في البلاد، واستمرت مصفاة الشركة الشريفة للبترول بسيدي قاسم في لعب دور المزود للاقتصاد المغربي بنسبة هامة من احتياجاته الطاقية بعد الاستقلال، حتى بعد إنشاء محطة لاسمير بمدينة المحمدية، والتي

انطلق فيها العمل سنة 1962م. لعبت تلك الصناعة دورا كبيرا كذلك في رسم المعالم السكانية بالمدينة، والتي أصبح الطبقة العمالية المشتغلة في الصناعة التكريرية تشكل نسبة مهمة منها، مانحة للمدينة طابعا ديمغرافيا مميزا. لكن تلك المصفاة الرائدة في المغرب عرفت بعد ذلك العديد من التحديات والظروف التي أسفرت عن إيقاف النشاط التكريري بها سنة 2001م، لتتحول إلى مخزن للمنتجات النفطية منذ ذلك التاريخ.

5. قائمة المراجع:

- الصمدي التهامي، نماذج من مقاومة الشراردة للغزو الاستعماري الفرنسيوالدلالات التاريخية لمركز Petitjean، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 30،المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2017.
- قلعي عومار، أحداث شارع الرباط(غشت 1954) بسيدي قاسم من خلال جريدة السعادة، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 30،المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2017.
- الغزوي أحمد، الاستعمار والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية بالوسط القروي لإقليم سيدي قاسم، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 30،المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2017.
- امويهيأسماء، إعداد التراب والتنمية المحلية بجهة الغرب–الشراردة –بني حسن: مقاربة خرائطية، **أطروحة دكتوراه في الجغرافيا**، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 2013–2014.

- Beaujeu-Garnier Jacqueline, La France et le pétrole, **L'information géographique**, volume 16, n°2, 1952.
- Bouquerel Jacqueline, Le pétrole au Maroc, **Cahiers d'outre-mer**, N° 73 - 19e année, Janvier-mars 1966.
- Bunle Henri, Le Maroc économique, **Journal de la société statistique de Paris**, Tome 72 ,1931.
- Cadoux Gaston, Nos richesses latentes en carburants, **Journal de la société statistique de Paris**, tome 61, 1920.
- Célérier Jean, Les recherches de pétrole au Maroc, **Annales de Géographie**, T. 46, n°263, 1937.
- L'Economiste, Construction d'un pipeline : La SCP modernise son activité de raffinage, Edition N°:194 Le 07/09/1995.
- Le Monde, M. Lacoste visite une usine de raffinage de pétrole unique en Afrique du nord, Publié le 08 novembre 1954.

7. هوامش:

[1]Bouquerel Jacqueline, Le pétrole au Maroc, **Cahiers d'outre-mer**, N° 73 - 19e année, Janvier-mars 1966, p. 73.
[2]Célérier Jean, Les recherches de pétrole au Maroc, **Annales de Géographie**, T. 46, n°263, 1937,p. 544.
[3]Bunle Henri, Le Maroc économique, **Journal de la société statistique de Paris**, Tome 72 ,1931, p. 326.
[4]Bouquerel Jacqueline, op.cit, p. 73.

[5]Cadoux Gaston, Nos richesses latentes en carburants, **Journal de la société statistique de Paris**, tome 61, 1920, p. 106.
[6]Bouquerel Jacqueline, op.cit, p. 73.
[7]Ibidem.
[8]امويهيأسماء، **إعداد التراب والتنمية المحلية بجهة الغرب–الشراردة – بني حسن: مقاربة خرائطية**، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 2013–2014، ص. 270.
[9]Célérier Jean, op.cit, p. 544.
[10]امويهيأسماء، نفس المرجع، ص. 270.
[11] Beaujeu-Garnier Jacqueline, La France et le pétrole,**L'information géographique**, volume 16, n°2, 1952,p. 66.
[12]امويهيأسماء، نفس المرجع، ص. 270.
[13]Bouquerel Jacqueline, op.cit,p. 74.
[14]Ibid,p. 75.
[15]Le MONDE, M. Lacostevisite une usinede raffinage de pétroleunique en Afriquedu nord, Publié le 08 novembre 1954.
[16]Bouquerel Jacqueline, op.cit,p. 77.
[17]Bouquerel Jacqueline, op.cit,p. 78.
[18]Ibid, p. 79.
[19]Ibidem.
[20]L'Economiste, **Construction d'un pipeline : La SCP modernise son activité de raffinage,** Edition N°:194 Le 07/09/1995.
[21]امويهيأسماء، مرجع سابق، ص. 270.
[22]Bouquerel Jacqueline,op.cit,p. 79.